الانتفاضة الفلسطينية بين مرحلتين

محمد خالد الأزعر، **المقاومة الفلسطينية بين غزو لبنان والانتفاضة**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، ١٩٩١، ٢٢٤ صفحة.

تعتبر الانتفاضة الفلسطينية من أهمّ المراحل في تاريخ النضال الفلسطيني، وكتب عنها عشرات الكتب في محاولة لتحليلها وتقييمها من جوانب عدّة، خاصة أنها بدأت منذ خمس سنوات ومازالت مشتعلة في الارض المحتلة، على الرغم من فترات المدّ والجزر في نشاطاتها.

عالج الكتاب موضوع المقاومة الفلسطينية بين مرحلتين هامتين في تاريخ القضية الفلسطينية، هما غزو لبنان والانتفاضة، من خلال أربعة فصول تضمّنها الكتاب: الاطار الداخلي للمقاومة، والمقاومة المدنية والمسلّحة، والانتفاضة، ورؤية مستقبلية. والتطوّرات التي حصلت للمقاومة منذ غزو لبنان العام ١٩٨٢، حتى بعد عامين على بداية الانتفاضة. وقارن الباحث بين الانتفاضة الكبرى العام ١٩٨٧ والانتفاضات التي قام بها الشعب الفلسطيني مع التركيز على ثورة العام ١٩٣٦. وتتبع أنماط المقاومة المدنية والمسلّحة ضد الاحتلال الاسرائيلي للضفة الفلسطينية وقطاع غزة. وقارن بين المقاومة الفلسطينية والمقاومة اللبنانية ضد الاحتلال الاسرائيلي في الجنوب اللبناني.

تناول المؤلف، في الفصل الاول، سياسة الاحتلال وتطوّراته الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية التي سبقت الانتفاضة، منذ بداية الثمانينات عندما بلغت السياسة الاسرائيلية أوجها ضد الفلسطينيين الى حدّ تزييف الحقائق بكل ما يتعلّق بالهوية الفلسطينية والانتماء الفلسطيني، كتغيير أسماء المدن والقرى وتجزئة الشعب الفلسطيني الى مجموعات اثنية (مسلمين، نصارى، دروز، أرمن، شركس، يونان، وسريان، الخ). وكذلك محاولة تحطيم المجتمع الفلسطيني واغوائه بالمخدرات، ونقل أمراض المجتمع الاسرائيلي اليه. واظهار التفوّق الاسرائيلي أمام الضعف الفلسطيني، خاصة بعد خروج المقاومة من بيروت في العام ١٩٨٢. وتدخل الاحتلال في جميع شؤون الحياة اليومية للفلسطينيين، كالتعليم والصحافة والثقافة، وزيادة العاطلين عن العمل وتشجيع الاستيطان.

وتطرّق المؤلف الى الوضع الاقتصادي الصعب الذي كان يعيش فيه الفلسطينيون، كمصادرة الاراضي حيث استولت اسرائيل على نحو نصف أراضي الضفة الفلسطينية وقطاع غزة في منتصف الثمانينات، ومصادرة المياه، والسيطرة الاسرائيلية على التجارة الخارجية، وكانت ٩٠ بالمئة من الصادرات الفلسطينية تتمّ من طريق اسرائيل.

وعن التطوّرات السياسية التي حدثت في تلك الفترة، تحدث المؤلف عن الضغوطات العديدة التي تعرّض لها الشعب الفلسطيني بعد التوقيع على اتفاقيتي كامب ديفيد من أجل خلق بدائل عن منظمة التحرير الفلسطينية، لكي توافق على التفاوض مع اسرائيل. حيث حاول اريئيل شارون الذي تسلّم وزارة الدفاع في العام ١٩٨١، الضغط على الفلسطينيين من طريق سياسة العصا والجزرة لكي يوافقوا على سياسته، وألغى الحكم العسكري الاسرائيلي على الضفة والقطاع، وفرض بدلاً منه نظام الادارة المدنية. الاّ ان الفلسطينيين رفضوا تلك السياسة، كما قامت اسرائيل بغزو لبنان في صيف ١٩٨٢، من أجل اضعاف منظمة التحرير الفلسطينية وتمثيلها للشعب الفلسطيني.